مفتاح السعادة
وتحقيق طريق السعادة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
1993

دار الغرب الإسلامي
ص.ب: 113/5787
بيروت - لبنان

مفتاح السعادة
وتحقيق طريق السعادة

تأليف

أبو العباس بن العريف

481 هـ-536 هـ (1088 م- 1141 م)

جمعه

أبو بكر عتيق بن مؤمن

496 هـ-548 هـ (1102 م-1153 م)

دراسة وتحقيق

دكتورة عصمت عبد اللطيف دندش

أستاذة التاريخ والحضارة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

« الأنعام : 88 »

إهـداء

إليك راحل يوم عرفات 1410

عاطف أخي الحنون

خطفتك يد المنون

لاحقاً بأخينا عاصم الحبيب

راحل أضحى1406

فلي الصبر، ولكما الخلود

فَيَـا حَسْرَتِي مِنْ فِـرَاقِ قَـوْمٍ هُمُ الْمَصَـابِيحُ والْحُصُـونُ
والْمُزْنُ والْمُدْنُ والـرَّوَاسِي والخَفْضُ والأَمْـنُ والسَّكُـونُ
لَمْ تَتَغَّير لَنَـا اللَّيَـالِي حَتَّى تَـوَفَّتْهُـمُ المَنُـونُ
فَكُـلُّ جَمْرٍ لَنَـا قُلُـوبُ وَكُلَ مَـاءٍ لَنَـا عُيُـونُ

الحَمْدُ لله الَّذي
لَمْ يَجْعَلْ لِلْخَلْقِ سَبِيلاً إلى مَعْرِفَتِه
إلاَّ بِالعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِه

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجع علاقتي بابن العريف إلى سنة 1980 عندما كنت أحضر رسالة الدكتوراه في موضوع «الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين»، عند بحث ثورة المريدين وما صاحبها من أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية. وكان الموضوع جديداً وصعباً لعدم وجود مصادر ترشد لتقييم هذه الأحداث، ولكن بتوفيق من الله سبحانه وتعالى استطعت أن أتوصل إلى معلومات قيمة وجديدة. وكان من ضمن المصادر التي اعتمدت عليها مخطوط مفتاح السعادة لابن العريف، وكان الأب بولس نويا اول من أشار إلى هذا الكتاب، واستغل منه بعض الرسائل في بحث قدمه لمجلة الأبحاث التي تصدرها الجامعة الأميركية ببيروت سنة 1978 ـ 1979 واستنتج منها أفكاراً جديدة.

كان لا بد لي من دراسة هذا المخطوط دراسة متأنية لأنه في صميم بحثي، وبالفعل استطعت بعون الله أن أضيف الجديد. وبعد حصولي على الدكتوراه وجدت لزاماً علي أن يخرج هذا المخطوط إلى النور خصوصاً أن عوامل الزمن أثرت في صفحاته، فعكفت على قراءته مرات عديدة، ولكن وجدت أنه من الضروري خوض بعضٍ من تجربة المتصوفة، حتى أستطيع أن أتفهم هذا السلوك، وأحس ببعض المعاناة، فكنت آخذ نفسي من وقت إلى آخر ببعض ما قرأت في كتب التصوف، ثم أتوقف حتى يتسنى لي استجماع نفسي واستعادة توازني، ولملمة شتاتي، لذلك أخذ مني هذا المخطوط وقتاً طويلاً، وسنوات عدة لأنه صحح بعض الأفكار التي استنتجها سابقاً.

وجاءت مشكلة نسخ المخطوط، إذ أشار الأب بولس نويا إلى أنه وجد ثلاث رسائل من ابن العريف موجهة إلى ابن برجان وبعضاً من كلام ابن العريف لم يذكر عدد صفحاته ضمن مجموع الرسائل الصغرى لابن عباد الرندي في النسخة التي كانت في حوزة السيد عبد السلام بن سودة، وهذه النسخة لم استطع الحصول عليها للأسف

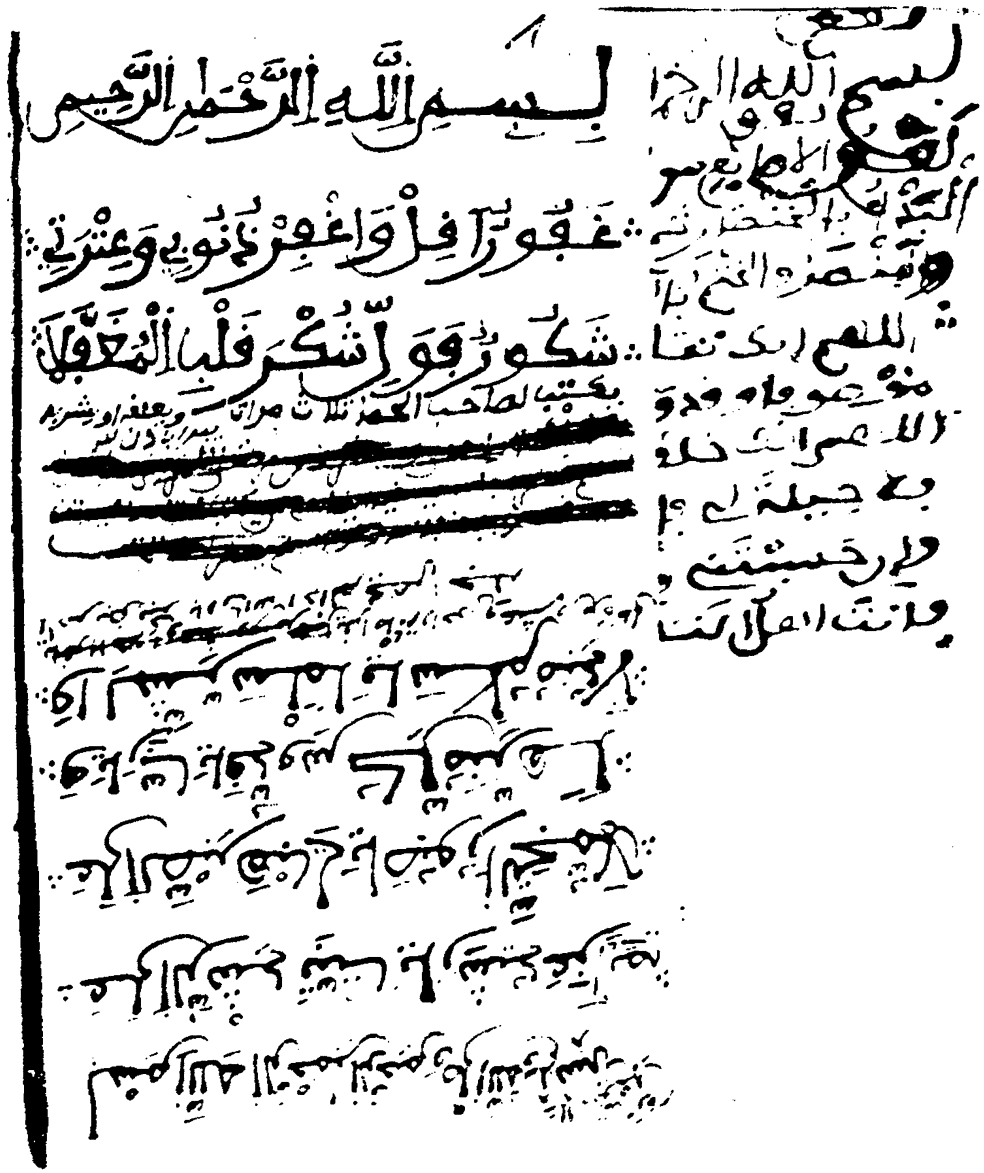

المخطوط (1) تحت رقم 1620 ضمن مجموع شرح العقيدة السنوسية الصغرى

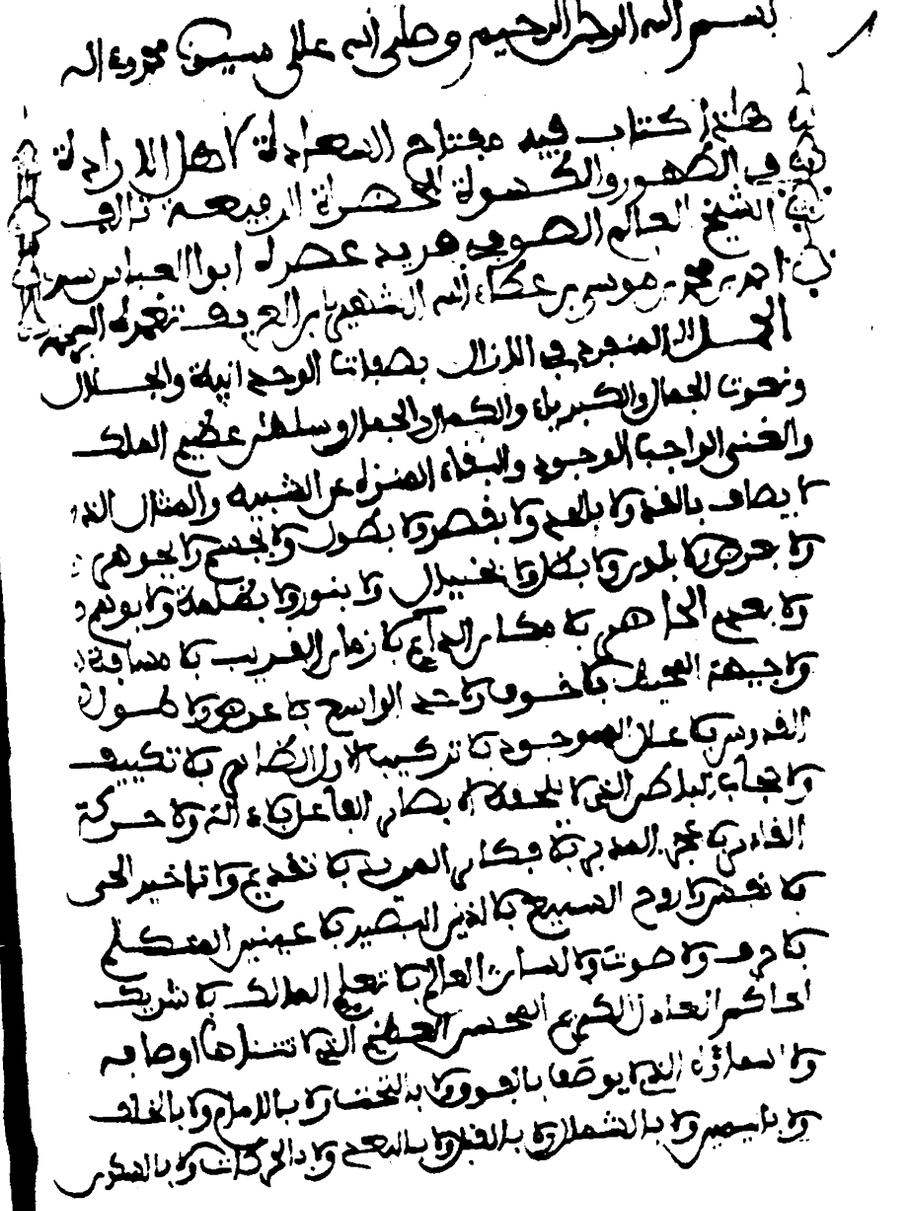

المخطوط رقم (2) تحت رقم 1687 ضمن مجموع تصفية القلوب في الوصول إلى علام الغيوب

حتى أتحقق من عدد القطع المنسوبة لابن العريف. ولكن على ما يبدو من كلام الأب بولس عددها قليل جداً.

ثم وجدت في دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمجروت الصادر سنة 1985 عن وزارة الأوقاف من إعداد الأستاذ محمد المنوني، أنه توجد نسختان لمفتاح السعادة ضمن مجموعين، لذلك اضطررت إلى تأجيل طبع نسخة الخزانة الحسنية (الملكية) حتى أقابلها بنسخ تمجروت، وقد سافر الأستاذ الدكتور محمد بن شريفة مشكوراً إلى تمجروت وزودني بصورة للنسختين.

لكن بعد أن تفحصت النسختَيْن وجدت أن لا علاقة بينهما وبين نسخة الخزانة الحسنية. فالمخطوط الأول تحت رقم 1620 بعنوان «مفتاح الشهادة لأهل الإرادة في الطهور والكسوة للحضرة الرفيعة» وهو من تأليف أبو الحسين علي صالح. وهو ضمن مجموع يشمل:

1ـ شرح العقيدة السنوسية الصغرى ـ لمحمد بن محمد بن إبراهيم الملالي التلمساني.

2ـ أرجوزة في التوقيت ـ مجهول.

3ـ سراج الإسلام ـ لسليمان بن خلف الباجي.

4ـ الخواص القرآنية ـ مجهول.

5ـ مفتاح السعادة ـ مكتوب خطأً من تأليف ابن العريف.

6ـ شرح حزب البحر للشاذلي ـ لأحمد بن محمد بن عيسى البرنسي عرف بزروق.

والمخطوط الثاني تحت رقم 1687 مجموع يشتمل على:

1ـ تصفية القلوب في الوصول إلى حضرة علام الغيوب ـ لأبي القاسم محمد بن أحمد ابن أحمد بن جزي.

2ـ بداية الهداية ـ لأبي حامد الغزالي.

3ـ مفتاح السعادة لأهل الإرادة ـ لأبي العباس بن العريف.

4ـ ترتيب التصوف التساعي ـ لعلي بن يوسف القرشي.

وبعد قراءة سريعة للمخطوطين وجـدت أَنَّهما نسخة واحدة لمؤلف واحد لا تختلف إحداها عن الأخرى إلا أن إحداهُمَا كتب فيها أنها من تأليف ابن العريف والأخرى من تأليف أبـو الحسين علي صـالح، وهـذا يستـدعي تحقيقاً وقـراءةً متأنيـة لمعـرفـة المؤلف الحقيقي(*).

لهذا كان اعتمادي على النسخة الـوحيدة بالخزانة الحسنيـة لإخراج هذا المؤلف لابن العريف.

عصمت عبد اللطيف دندش

الرباط أغسطس 1992

(*) ذكـر ابن عباد الـرندي في تفسيره للحكم العطـائية مـؤلفـاً لابن العريف بعنـوان مفتاح السعـادة ومنهاج سلوك طريق الإرادة.

دراسة التصوف في الغرب الإسلامي يكتنِفُها كثير من الصعوبات خصوصاً التعامل مع كتب التصوف، وتبرز هذه المشكلة في أن معظم كتب التصوف قد فُقدت، كما أنها كانت قليلة التداول، وذلك لموقف فقهاء المالكية من التصوف عموماً، مما جعل تداول هذه الكتب محدداً ومقتصراً في الغالب على فئة المتصوفة الذين كانوا يعتبرونها من خصوصياتهم لا يجوز الكشف عنها للآخرين.

ودراسة رسائل ابن العريف مفيدة لكل من يريد أن يتعلم ويقف مباشرة على ما كان يدور بين هؤلاء المتصوفة من أسئلة، ويتبين الطريقة التي يحاولون الوصول بها إلى طريق الإرادة، والتقرب إلى المولى عز وجل، وما هي الصعوبات التي يلاقونها، والأزمات والصراعات النفسية التي يمرون بها قبل الوصول إلى بغيتهم والظفر بالمشاهدات الوجدانية.

كما تظهر أهمية رسائل ابن العريف وكلامه في معرفة آداب الشيخ مع مريديه، وكيفية تعامله معهم، وطريقة إرشادهم للطريق، والموضوعات التي كانت محل بحث ومثار مناقشة وحوار بين المريدين بعضهم بعضاً، وبينهم وبين شيخهم، أو العكس كما تبين علاقة هؤلاء المتصوفة بأقرانهم.

فيا أيها القارىء العزيز،

لا بد وأنك واجد بعض الهنات والعثرات، فأستميحك عذراً فالكمال لله وحده، إذ أن دراسة التصوف أو الغوص في معرفته من الأمور الصعبة، خصوصاً في عصرنا. ومَنِ الذي يقدر منا على سلوك مسلكهم؟ أو الانتظام في طريقهم بعد أن حجبتنا الشهوات واسترقتنا العادات؛ ووقفنا مع الرسوم والطلول، ومنعنا عن الوصول، واغتالنا الأعداء والأهواء بفنون التزيين والإغواء، فعميت البصائر، وأظلمت السرائر، فلم يبق

لنا في هذه المسألـة نصيب إلا التسليم لأهله، واستعمال حسن الظن في محله، والتماس الفتح مـن الفتـاح العليم، والهدايـة إلى صراطهم المستقيـم مع **اعتقاد التنـزيه ونفي التشبيه**، وهـو طريق مخصـوص بالسـلامـة من الآفات، مخلص لأمثـالنا من ارتكـاب الجهالات، متضمن حسن الأدب مع الأولياء الصالحين.

يقول أبو المعالي الجويني:

من اطمأن إلى موجود، انتهى فكره، فهو مشبه،

ومن سكن إلى النفي المحض فهو معطل،

ومن قطع بموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد.

عصر ابن العريف (*)

شهد عصر المرابطين تطورات حضارية في شتى مجالات الحياة، كما يعتبر مرحلة انتقال متميزة بين عصرين، عصر ملوك الطوائف، وعصر الموحدين، إذ جمع بين متناقضات عصر الطوائف وما حدث من تطور في عهد المرابطين. وكانت الفترة التي عاشتها دولة المرابطين قصيرة، قضت معظمها في الجهاد، إما في المغرب جنوب الصحراء في بلاد السودان، وإما في داخل المغرب أو في الأندلس.

والجيل الأول من المرابطين كان حديث عهد بحركة الزهد والتقشف التي عاشوها في رباط ابن ياسين، فلما دخلوا الأندلس لم يتأثروا كثيراً بها، «فكانوا رجالاً لا عهد لهم بالدعة، ولا علم عندهم برخاء العيش، إنما هَمّ أحدهم فرس يروضه ويستفرهه، أو سلاح يستجيده، أو صريخ يلبي دعوته»[1].

لكن هذه الحياة البسيطة لم تستمر طويلاً خصوصاً بعد وفاة الأمير يوسف بن تاشفين، فقد أثرت الحياة الأندلسية المترفة على الجيل الثاني، الذي لم يكن من الممكن أن تستمر مقاومته لحياة الأندلس وحضارتها المتقدمة، وخصوصاً بعد تدفق الغنائم وتكدس الأموال، فاختلط هذا الجيل بأهل الأندلس، واتخذ معظمهم زوجات أو محظيات منه، فنشأ جيل أشبه بجيل جديد من المولدين، تلقى تربيته وتعليمه على أيْدٍ أندلسية، بعيداً عن بساطة الصحراء وشظفها.

ظهر التحول واضحاً في عهد الأمير على بن يوسف في كل مظاهر الحياة، وبرغم ما

(*) لم أتعرض هنا بالتفصيل للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إذ سبق أن قمت بدراسة موسعة في كتاب «الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين» صدر عن دار الغرب الإسلامي 1988.

(1) عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 163.

عرف عنه من تقشف وميل إلى الزهد[2]، إلا أن الكثير من الأمراء والقواد والولاة انغمسوا في الحياة المترفة، واتخذوا مجالس الشعراء والمغنين والندماء، كما تأنقوا في المأكل والملبس[3]، وهذه سنة الحياة في كل العصور.

لم يقتصر الأمر على المرابطين، فقد ظهرت العديد من الأسر الغنية التي ملكت الأموال الكثيرة والتي استثمرتها في الصناعة، والتجارة والزراعة، وساعدتها ثروتها على هيمنتها وبسط نفوذها في شتى المجالات السياسية والإدارية والاقتصادية، بل والدينية أيضاً. ولم يتوقف تأثيرها على هذه المجالات فقد احتلت مركز الصدارة في ميادين الثقافة والفكر، سواء في الفكر السياسي أو التشريع، وليس معنى ذلك أن هذه الطبقة كانت تصدر الأوامر مباشرة إلى العلماء والشعراء والفنانين وغيرهم ليعالجوا موضوعاً ما بطريقة معينة، ولكن احتلالها مركز الصدارة والقيادة في المجتمع أتاح لها المجال لتحقيق توجيهاتها ومقاصدها سواء التوجيه مباشراً أو غير مباشر.

وهذا لا يعني أنه لم تكن هناك تيارات فكرية وثقافية تولّدَتْ بعيداً عن هذه الطبقة، فقد تولدت تيارات كانت تسير ضد مصالحها أيضاً، ولكن المجال لم يكن متاحاً لتطور مثل هذه التيارات، نظراً لعدم دعمها من قبل النظامين الاقتصادي والسياسي القائمين، علاوة على تجاهل أو إهمال المؤرخين لها، لأنها تتعارض مع ميول الطبقة الحاكمة وطبقة الخاصة (الأرستقراطية ـ الغنية) على الخصوص، ولأن هذه الطبقة قاومت هذه التيارات بشدة وعنف لأنها تهدد مصالحها.

كانت طبقة الخاصة لاهية عما يحيط بالبلاد من أخطار، غير مبالية إلا بمصالحها، متباعدة عن مسرح الأحداث الكبرى التي انفرد بتدبيرها المرابطون من جهة والقشتاليون من جهة أخرى، وتدهورت الأحوال الاقتصادية والسياسية بعد نجاح فتنة المهدي بن تومرت وانشغال المرابطين بها في المغرب عن جبهة الأندلس، مما اتاح الفرصة للقشتاليين لزيادة ضرباتهم الموجهة للأندلس، ونجاحهم في الاستيلاء على كثير من المدن والحصون.

---

(2) ن. م. ص 171.

(3) انظر كتابنا السابق.

في هذه الظروف المتناقضة، وكـرد فعل لما يسود المجتمع من انحلال وتفسخ وعدم مبالاة، لجأ البعض إلى العزلة والانزواء، واتخذ مـن التصوف ملاذاً وملجأ لما يراه في هذا المجتمع ولا يملك تغييره، لعلـه يجد في كثـرة العبـادة والاستغـراق فيهـا، والبعـد عن الناس، مخرجاً لما يعانيه، فانتشرت الزوايا والربط في المغرب والأندلس التي لزمها العباد والمتصوفة.

قوبل هذا الموقف السلبي من هذه الجماعة (المتصـوفة) بموقف سلبي من الدولة في بداية الأمر، واختلفت آراء ومواقف الفقهاء تجاههم، وفقهاء المالكية لهم رأيهم المعارض للتصوف، خاصة التصوف الذي ظهـر في الغرب الإسلامي والذي تأثر بآراء المتكلمين والفلاسفة والشيعة، وانتشرت كتب الغزالي و إخـوان الصفاء بين هؤلاء المتصوفة، وكان لفقهاء الأندلس، خـاصة فقهاء قرطبة، مـوقفهم المعادي لكتب الغزالي وعلى الأخص كتابه الإحياء الذي وجدوا فيه خطراً على أفكار الناس بعد أن تداولته الأيدي من خاصة وعامـة، مما جعلهم يقـرّرونَ مجافاته لظـاهر الشريعـة، وساذج العقيـدة، لما يحويه من أحاديث ضعيفـة، وآراء كلامية بعيدة عن أذهـان العامة، فحذروا الناس مـن مطالعته والنظر فيـه، وحرضوا السلطة الحاكمـة على متابعة المنع، غير أن هـذا المنع أتى بنتيجة عكسيـة فكل ممنوع مـرغوب، إذ زاد إقبـال الناس على قـراءة هذه الكتب، وحفظهـا، واتخذ المتصوفة من الغزالي وكتبه نموذجاً يقتدون به في حياتهم الصوفية.

وبـرز في الغـرب الإسلامي في فترة حكـم المرابطين عدد كبير من شيـوخ التصـوف ومـريديهم، الـذين انتشروا في جهات عـديدة من الأنـدلس[4]، وكانت ألمريـة وقرطبة و إشبيليـة من أهم مـدن الأنـدلس التي لمع بها عـدد كبير من شيـوخ التصـوف كـابن العريف، وابن غالب وابن برجان وغيرهم[5].

وللمـريـة وضعيتهـا المتميـزة بين مـدن الأنـدلس، فهي أشهـر مـوانيـه التي تعج بالمسـافرين من طلبة العلم والتجـار والحجاج والوافـدين إليها من جهات عـديدة من العالم الإسلامي وغير الإسلامي، حاملين معهم الأفكار والتيارات الثقافية التي تروج في

(4) د. عصمت دندش: أضواء جديدة على المرابطين ـ دار الغرب الإسلامي 1990 بيروت.
(5) ن. م.

هذا العـالم، كما أنها كانت مدينة صنـاعية هامة يسكنهـا آلاف العمال والصناع من كل فن، وكانت ملتقى الفارين من هجوم النصارى خصـوصاً بعد سقوط سرقسطة وغيرها من مدن الثغر الأعلى، فهاجر إليها عـدد كبير من علمائها ومفكريها، كل هذه العوامل جعلت منها مدينة متميـزة لها خصوصيتها عن بقية مدن الأندلس من النـاحية الفكرية والمزاج العام الذي يسـودها[6] . فكان لعلمائهـا موقفهم الخاص[7] تجاه الأمر بـإتلاف كتب الغزالي ومنع قـراءتها والذي أفتى بها فقهاء قـرطبة[8] ، كذلك كـان للتيار الصوفي بالمرية خصوصيته والذي تَزَعّمه أبو العباس بن العريف .

وأبو العباس بن العـريف هو أحمد بن محمد بن موسى بـن عطاء الله الصنهاجي، وسمي بابن العريف لأن والده كان يعمل عريفاً بحرس الليل بمدينة طنجة، والعريف هو القـائم بأمر الجماعة . رحل والده مـن بلده الأصلي طنجة إلى ألمرية والتحق بخـدمة ابن صمادح حيث عمل بمعسكـر قصبـة ألمريـة التـي كـانت تحت حكم أسرة معن بن صمادح أحـــد ملـوك الطـــوائف، والتي حكمت من 433 هـــ إلى 484 هـ (1041: 1091م)[9].

ولد أبـو العباس أحمد بن العريف بمـدينة ألمرية يوم الأحـد بعد طلوع الفجـر ثاني جمادى الأولى سنة 481 هـ / 1088م، ونشأ في بيئة متواضعة أقـرب إلى الفاقة والعوز، مما دفع والـده إلى إرساله لحائك كي يتعلـم مهنة الخياطـة، غير أن الصبي الصغير كان ينفـر من هـذه الحرفـة، ويميل إلى طلب العلم، فكـان يهرب إلى مجالس العلم المنتشرة بالمرية يستمع إلى القرآن وعلوم الحديث واللغة ويبحث عن الكتب يقرؤها، فكان والده ينهاه ويخوفه ويشتد عليه حتى كاد يقضي عليه، فلما لم يجد معه فائدة من ثنيه عن طريق العلم تركه لشأنه [10] .

اجتهد ابن العريف في طلب العلم وتردد على شيوخ المرية، ومرسية، وقرطبة ينهل

---

(6) د. عصمت دندش : الأندلس في نهاية المرابطين الباب الخاص بثورة المريدين .

(7) تزعم حركة المعارضة أبو الحسن البرجي، وأبو بكر عمر بن الفصيح، وأبو القاسم بن ورد . انظر ابن عبد الملك، الذيل والتكملة سفر 5 قسم 1، رقم 604 ص 308 .

(8) ابن القطان : نظم الجمان ص 14، 15 .

(9) ابن الأبار: المعجم رقم 14 ص 18، التادلي : التشوف رقم 18 ص 118 .

(10) ن . م، ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ 1، رقم 68 ، ص 168 .

من علمهم، فكان من شيوخه أبو الحسن البَرْجي [11]، وأبو محمد عبد القادر القروي المعروف بابن الحناط [12]، وأبو بكر عمر بن رزق المشهور بابن الفصيح[13] ، وأبو جعفر الخزرجي[14] ، وأبو علي الصدفي[15] ، وأبو القاسم بن النحاس[16] ، وأبو خالد يزيد مولى المعتصم[17] ، وأبو القاسم خلف بن محمد بن العربي[18] ، فأخذ عن هؤلاء القرآن الكريم، وتعلم القراءات، وسماع الحديث وجمع الروايات واللغة، وروى كتاب الفصوص لصاعد[19] ، فصار «عنده مشاركة في أشياء من العلوم، وعناية بالقراءات وجمع الروايات واهتمام لطرقها وعللها وحملتها»[20] ، وبرع في إجادة الخط فكان يكتب سبعة خطوط لا يشبه بعضها بعضاً[21] . وقد استجاز من أبي القاسم بن بشكوال قال: «وقد استجاز من تأليفي هذا وكتبه عني، وكتبت إليه بإجازته مع سائر ما عندي، واستجزته أنا أيضاً فيما عنده، فكتب لي بخطه ولم ألقه، وخاطبني مرات»[22]. وللأسف لم يذكر لنا ابن بشكوال شيئاً عن الكتب التي استجازها من ابن العريف برغم ما عرف عنه من دقة، «كما كانت بينه وبين القاضي عياض مكاتبات حسنة»[23] ولم يذكر ابن خلكان نوعية هذه المكاتبات، والمرجح أنها تتعلق بالتصوف، وقال ابن خير الفاسي الإشبيلي صاحب الفهرسة الشهيرة «أخذت عنه [أي ابن العريف] واستفدت منه مواعظ ووصايا، وذاكرته في أشياء من طريق الصوفية وأفادني»[24] .

---

(11) ترجمته في ابن عبد الملك: م. س. سفر 5، قسم 1، رقم 604، ص 308، ابن الأبار، م. س، رقم 253، ص 271: 273.

(12) ترجمته في ابن بشكوال: الصلة رقم 839 ص 371، ابن الأبار، م. س، رقم 85 ص 98.

(13) ابن بشكوال: م.س. رقم 868، ص 383.

(14) ابن فرحون: الديباج ص 50.

(15) ابن بشكوال: م. س. رقم 330، ص 143.

(16) الضبي: بغية الملتمس، رقم 718، ص 274.

(17) ابن الأبار: التكملة، جـ 2، رقم 2106، ص 742، ط. مجريط 1887.

(18) ابن بشكوال: م. س. رقم 398، ص 172.

(19) ابن الأبار: م. س. رقم 14، ص 18.

(20) ابن خلكان: م. س. ابن بشكوال: م. س. رقم 176، ص 83.

(21) ابن الأبار: م. س، الضبي، م. س، رقم 360، ص 154.

(22) ابن بشكوال: م. س، رقم 176، ص 83.

(23) ابن خلكان: م. س.

(24) ابن خير: الفهرسة ص 460، التادلي: م. س. ص 118.

لمع اسم ابن العريف وجلس للإقراء بألمرية، وغدا عالماً كبيراً «فجاء نسيج وحده»[25]. واعترف والده بخطئه وقلة إدراكه فكان يقول عند زيارة أصحاب ابنه «رأي ابني كان أرشد من رأيي»[26].

لم يقتصر نشاط ابن العريف العلمي ببلده ألمرية، فقد أقرأ بسرقسطة وبلنسية[27]، فكان فقيهاً وراوياً مجرحاً ومجوداً بارعاً[28]، كما كان له منثور ومنظوم رقيق[29]، ولفت أنظار معاصريه بخطه المتنوع البديع، وعهد إليه بتولي الحسبة بمدينة بلنسية بجانب جلوسه للإقراء بمسجدها[30].

ويذكر ابن العريف سبب توليه للحسبة من خلال ذكره حكاية نسبها لأحد أصحابه في الرسالة التي أرسلها إلى صديقه الصوفي الكبير أبي الحسن بن غالب في قرطبة، ويحدد الأسباب في أربعة بقوله:

«لأحط من نفسي فإني كنت عند الناس فوقها، والثاني لأجرب نفسي عند الأمر والنهي والجاه والمال، والثالث لينكشف لي ما عليه الحكام من إظهار الحق وإبطاله، والرابع لأقدم ذلك فيما عسى أن أمتحن به من أمر ولاية فأكون على بصيرة من الإقدام والإحجام»[31].

---

(25) ابن الأبار: م. س. رقم 14، ص 18.
(26) ن. م.
(27) ن. م.
(28) ابن بشكوال، م. س. رقم 176، ص 83، ابن خلكان م. س.
(29) التادلي. م. س. وكتاب ابن العريف محاسن المجالس به كثير من شعره، كما سوف أُورد في أشعاره فيما بعد.
(30) ابن الأبار: م. س.
وترجمة ابن العريف من المصادر الآتية: ابن الأبار: المعجم رقم 14 ص 18، الضبي: بغية الملتمس رقم 360 ص 154.
ابن بشكوال: الصلة جـ 1 رقم 176 ص 83، التادلي: التشوف رقم 18 ص 119.
ابن خلكان: وفيات الاعيان جـ 1 رقم 68 ص 168، الذهبي: سير النبلاء جـ 20، رقم 68، ص 113.
ابن فرحون: الديباج ص 58.
(31) من رسالة ابن العريف إلى ابن غالب رقم 5.

ولا نعرف تاريخ توليه هذه المناصب، ولكنها مما لا شك فيه أنها كانت قبل استقراره في ألمرية والمرجح أنها قبل عام 520هـ، إذ بعدها أوقف نفسه على تعليم الصبيان في مسجدها نظير أجر زهيد يسد به حاجته وحاجة أسرته، ولا تسعفنا المصادر بمعرفة أسرته وأولاده، فوالده لا نعرف تاريخ وفاته، ويبدو أنه توفي بعد استقرار ابنه في ألمرية وشهرته بين أقرانه، فقد كان يفتخر به عندما يلتقي بأصحاب ابنه، ويبدي لهم ندمه على قسوته عليه عندما كان صغيراً ليجبره على تعلم حرفة الحياكة وترك العلم، والاحتمال كبير في أن والدي ابن العريف كانا يعيشان معه، وكان شديد العطف على أمه متعلقاً مشفقاً على ضعفها حتى أنها كانت من الأسباب القوية التي تمنعه من السفر إلى قرطبة للقاء أصحابه إشفاقاً عليها من جزع فراقه[32].

وكان ابن العريف يعول أخته الأرملة زوجة أبي جعفر[33] أحد أصدقائه والمقربين إليه الذي توفي تاركاً طفلاً صغيراً اسمه عبد الرحيم فأشفق عليه ابن العريف وضمه إلى حضانته[34]، فقد كان متأثراً وحزيناً لفقد صديقه أبي جعفر. ونعرف أن له أخاً اسمه إسماعيل ويكنى أبا الوليد كان يحضر مجالسه ويميل إلى طريقته في التصوف، وكتب عنه كثيراً من شعره، سافر إلى المغرب[35]، كما نفهم من رسائله أن له قريباً يسمى أحمد كتب عدة كراريس في فنون العلم منها بعض كلام لأحمد بن قسي[36]. ولم نستدل على أولاد لابن العريف، وإن ظهر من خلال الرسائل أن بعضهم كان صغير السن متعلقاً به[37].

كان ابن العريف مثالاً طيباً لرب الأسرة والزوج الشفوق والأب الحنون والابن البار، وكان ينصح أصحابه بحسن معاملة الزوجة وتعليمها الصلاة والقرآن الكريم[38]، كما

(32) رسالة ابن العريف إلى أبي خالد يزيد [و 88].
(33) أبو جعفر ابن عم يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي الذي ذكره الضبي في بغية الملتمس في ترجمة رقم 360.
(34) رسالة إلى ابن غالب رقم 18 [و 52].
(35) ابن الأبار: التكملة جـ 1 رقم 492، التادلي: م.س. رقم 18 ص 120، مفتاح السعادة [ط 57].
(36) رسالة إلى ابن قسي رقم 2 [و 97].
(37) ابن العريف: ن.م. [ط 27].
(38) ن.م. رسالة إلى أبي بكر عياش [و 89]، ورسالة إلى ابن غالب [ط 31].